بسم الله الرحمن الرحيم

شبكةُ شموخِ الإسلامِ

منتدى المجَاهِدَاتِ الشَّامِخَاتِ يُقَدِّم:

تفريغ مجموعة خطب للشيخ أبي الحسن العراقي "مصطفى الناصري" تقبله الله

٣ - "سُنَّةُ التَدَافُعِ"



الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِل له، ومن يُضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنىً له طرفة عين عن رحمته، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، خيرتهُ من خَلقه، وأمينهُ على وحيه، دعا إلى سبيل ربه بالحكمة فأحيا الله به الأمّة وكشف الله به الغُمّة.

عباد الله؛
أُوصيكم وأُوصي نفسي أولًا بتقوى الله العظيم، وطاعته، ولزوم أوامره، وكثرة مخافته، وأُحذّركم وبالَ عصيانه ومخالفة أمره، واستفتح بالذي هو خير:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [سورة الأحزاب].

أما بعد؛
اعلموا معشر الإخوة أنّ خير الكلام كلام الله، وأنّ خير الهدي هدي سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
واعلموا أنّ شر الأمور محدثاتها، وأنّ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أعاذنا الله وإياكم من حرها وشرها.

معشر الإخوة:

يوم خلق الله عز وجل هذا الكون باتساعه، وذرأ بني آدم على هذه الأرض ليكونوا خلفاء فيها، سنَّ الله عز وجل سننًا ثابتة، سننًا ونواميس لا تتبدّل ولا تتغير إلا بتغير الزمان أو المكان، ﴿وَتَمَّت كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدقًا وَعَدلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

لا مبدّل لكلماته، سننٌ ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ومن ضمن هذه السنن: أنَّه سبحانه وتعالى سنَّ سُنة الصراع بين الحق والباطل، صراع بين حق ما آمن به أهلُه، وما تمسكوا به، وما دعوا إليه، وما صبروا على الأذى فيه إلا كتب اللهم لهم العزّ، وكتب لهم النصر، ومكنهم من الأرض يتبوؤن منها حيث شاؤوا.

وأنهم ما تخلوا عن ذلك الحق الذي أُسند إليهم، وما تكاسلوا في الدعوة إليه، وما جبنوا على الدفاع عنه، وما جبنوا في الصبر على الأذى فيه، إلا سلّط الله عليهم عدوهم، فقتلَّهم وشردهم واضطهدهم ومزقهم كل ممزق.

ولقد كان في قصَصهم عبرة: قبل ألفٍ وأربعمائة وأربع وثلاثين عامًا من الآن، هناك في جزيرة العرب عند آبار بدر ثلاثمائة أو يزيدون، هم خير الناس على وجه الأرض يومئذ، يقودهم سيد الأولين والآخرين، وأشرف الخلق، وأكملهم وأكرمهم عند مليكهم: محمد صلى الله عليه وسلم، يتقدم الصفوف يحثهم، يشجعهم، يحرضهم ويرفع كفيه إلى بارئه ومولاه، يرفع كفيه الشريفتين إلى بارئه ومولاه:

(ربَّاه: إن تهلِك هذه العصبة فلن تُعبد في الأرض بعد اليوم).

الله أكبر.

هذا شأن الرجال، هذا قدرهم، هذه أهمية وجودهم، قوم يرتبط وجودهم بعبادة الله على وجه الأرض، فإن وجدوا وعدّوا وتمكنوا عُبِد الله حق عبادته، وإن هلكوا فلن يُعبدَ الله على وجه الأرض، هذا قدرهم وهذا شأنهم.

ينبغي على كل إنسان أن يتفكر ويراجع نفسه، ما هي أهمية وجوده؟ ما الذي سيكسبه المسلمون من وجوده؟ وما الذي سيخسره المسلمون حال فقدانه؟

لقد عاش أُناس على هذه الأرض وماتوا، ومرّ على موتهم سنين وأعوام وقرون وعقود ولم يُذكروا لا في حق ولا في باطل، لم يكن لأهميتهم وجود.

فيا عباد الله؛

سنقف بين يدي الله عز وجل مع أولئك الرجال، سنُسأل عن أعمارنا وعن شبابنا، وسنُسأل عن الصغير والكبير، فلن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه.

ما هي رسالتك في الحياة؟ ما هي القضية التي تعيش لأجلها؟

يصف لنا الحسن البصري -رحمه الله- ذلك الموقف الرهيب، فيقول -رحمه الله-: وكأني بالإسلام يأتي يوم القيامة على هيئة رجل، فيعرض عليه بنو آدم عن بكرة أبيهم، فيأتي إليهم فردًا فردًا فيقول: يا رب هذا أعزني، يا رب هذا أذلني، يا رب هذا أعزني، يا رب هذا أذلني. يقول حتى إذا وصل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ بيديه وقال: يا رب كنتُ غريبًا حتى أسلم هذا، يا رب كنتُ ذليلًا حتى أسلم هذا.

فنقف ذلك الموقف مع أولئك الرجال، والذي يقف موقفًا مع الرجال يستحق أن يُحاكي منزلتهم عند الله، يجدر به أن يبحث عن موقف مشرف يُذكر له في ذلك الموقف.

ما هي القضية التي تعيش لأجلها؟ ما الذي يشغل بالك؟ ما هي أولى أولوياتك؟

فإذا ذُكِر أولئك الرجال فلن تستغربوا من مكانتهم عند الله، لماذا؟

لأنهم آمنوا بالحق الذي أُسند إليهم، وقضوا أعمارهم منشغلين في الدعوة إليه، وبالصبر على الأذى فيه.

وفي ذلك الموقف حين رفع صلى الله عليه وسلم يده إلى بارئه ومولاه، فعلم الله عز وجل صدق أولئك القوم وما بذلوه وما قدموه في سبيل ربهم وفي سبيل دينهم ولإعلاء كلمة دينهم التي أوكلت إليهم، حينئذ أذن الله عز وجل لجنده في السماء أن تلتحم بجنده في الأرض وتقاتل عدو الله صفًّا واحدًا.

﴿إذ تَستَغيثونَ رَبَّكُم فَاستَجابَ لَكُم أَنّي مُمِدُّكُم بِأَلفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُردِفينَ (٩) وَما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلّا بُشرى وَلِتَطمَئِنَّ بِهِ قُلوبُكُم وَمَا النَّصرُ إِلّا مِن عِندِ اللَّهِ (١٠)﴾ [الأنفال: ٩-١٠].

عقيدة، عقيدة آمن بها الأولون وثبتوا عليها ولاقوا ربهم بها، ولذا دانت لهم ممالك الشرق والغرب، ﴿وَمَا النَّصرُ إِلّا مِن عِندِ اللَّهِ﴾، يعلمون أن هذه الأمة لا تنتصر بكثرة عدد ولا عُدة إنما تنتصر بهذا الدين، تنتصر بهذا الدين، فما أن تتمسك به، وما أن تدعو إليه، وما أن

تصبروا على الأذى فيه ولأجله إلا أذن الله عز وجل لنصره بأن ينزل عليهم، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُم﴾ [آل عمران: ١٦٠].

لا أمريكا ولا روسيا ولا إيران ولا الصين ولا أمم الأرض بأجمعها، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُم وَإِن يَخذُلكُم فَمَن ذَا الَّذي يَنصُرُكُم مِن بَعدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَليَتَوَكَّلِ المُؤمِنونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن لنهجه إلى يوم الدين اقتفى، وبعد؛

بعد عام واحد من تلك الحادثة، الجيش ذات الجيش، والقائد ذات القائد صلى الله عليه وسلم، يصف الصفوف، يوجههم، يحرضهم، يوزعهم، وكان من بين أوامره عليه الصلاة والسلام أنه أسند حماية جانب من جوانب المسلمين إلى أربعين من خيرة رماة المسلمين؛ لئلا يلتف العدو من ذاك الجانب، وأمرهم بأمر واضح بعدم النزول:

(إن رأيتمونا نُهزم فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا نغنم فلا تشاركونا).

أمر واضح بعدم النزول مهما حدث ومهما صار يمنع عليكم النزول إلا أن يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم حكّموا عقولهم في ذلك، فلما رأوا جيش المسلمين ينتصر قال قائلهم: "الغنيمة الغنيمة، الغنيمة الغنيمة"، فنزل من الأربعين ستٌّ وثلاثون، لم يبقَ إلا أربعة، وحينئذ التف فرسان من المشركين من خلف المسلمين، فدارت الدائرة على المسلمين، فانسحب المسلمون مهزومون من تلك المعركة، لِمَ؟ لأنهم خالفوا أمرًا واحدًا من أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، خالفوا أمرًا واضحًا لا نقاش فيه، فكتب الله عليهم الهزيمة في تلك المعركة، والملائكة التي أنزلها الله عز وجل في معركة بدر أنزلها هنا لكن نزلت في حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول سعد بن أبي وقاص: كنت أرى فارسين عن يمين وعن شمال النبي صلى الله عليه وسلم يذودون عنه ولم أكن أعرفهم من قبل، فسألت عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد، فقال لي هما جبريل وميكائيل نزلا يحميان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأن الله عز وجل يقول للصحابة ولنا من بعدهم : لقد أسندت لكم مهمة الدفاع عن ديني وعن رسولي، فلما أن تخليتم عنه بأن خالفتم أوامره حرمتكم شرف الدفاع عنه، وأنزلت ملائكة من السماء تذود عنه وتنقذه من بأس المشركين.

هذا درس وسنة ثابتة إلى قيام الساعة، ينبغي على المسلمين أن يتحققوا بذلك، وأن يؤمنوا بذلك، وأن يفهموه فهمًا دقيقًا.

ما ينزل الله عز وجل من نصر إلا بطاعة، وما ينزل الله عز وجل من هزيمة إلا بمعصية.

ولذلك لما تساءل المسلمون، زعم المسلمون بعد معركة بدر أن المسلمين لن يُغلَبوا بعد اليوم، فتعجبوا لما دارت الدائرة للمشركين في معركة أُحد فقال قائلهم أنَّى هذا؟ فأجابه الله عز وجل: ﴿أَوَلَمَّا أَصابَتكُم مُصيبَةٌ قَد أَصَبتُم مِثلَيها قُلتُم أَنّى هذا قُل هُوَ مِن عِندِ أَنفُسِكُم﴾ [آل عمران: ١٦٥].

هو من عند أنفسكم، والله الذي لا إله غيره، ما حلّ بلاء بالمسلمين إلا بسبب ذنوب ومعاصي، وما نزل نصر على المسلمين إلا بسبب طاعة تقبلها الله عز وجل منهم ففتح عليهم.

ولذا يا معشر المسلمين:

ينبغي على الجنود المرابطين المسلمين أن يفقهوا هذا المعنى جيدًا، وأن يتقوا الله عز وجل في أنفسهم وفي ما ولاهم الله عز وجل عليه، فلقد قال الله عز وجل: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اصبِروا وَصابِروا وَرابِطوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

الصبر: هي طاقة ذاتية في المرء تدفع صاحبها إلى الصبر عمّا تكره النفس.

والمصابرة: هي المغالبة: أن تعلم أن هنالك عدو يريد منك أن تجزع فتترك الثغر الذي تقيم عليه، فإذا علمت ذلك زادك ذلك صبرًا، فالمغالبة في الصبر تسمى مصابرة.

﴿وَرابِطوا﴾: هي المرابطة ولزوم الثغور.

وهذا شرف ومنزلة عظيمة يصطفي بها الله عز وجل بعض عباده، فعينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله.

﴿اصبِروا وَصابِروا وَرابِطوا﴾ هذه الثلاثة قد تتوفر في جيش مسلم أو غير مسلم، أما الرابعة فلن تتوفر إلا في جيش المسلمين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحون﴾ فإذا استكملتم هذه الأربعة نزل عليكم الفلاح والنصر، وتقبل الله عز وجل منكم جهادكم وعملكم، ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اصبِروا وَصابِروا وَرابِطوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ولذا أوصى خليفة المسلمين قائد الجيش المسلم سعد بن أبي وقاص الذي كان متوجهًا لفتح بلاد العراق، اوصاه بهذه الوصية أو بمضمونها، فقال: يا سعد، اعلموا أني لا أخاف عليكم من عدوكم، لا أخشى عليكم من عدوكم، إنما أخشى عليكم من ذنوبكم، فأنتم تنتصرون بطاعتكم لله ومعصيتهم له، فإذا تساويتم في المعاصي وضاعت التقوى صار النصر للأقوى.

هنا تبقى الحسابات المادية، فأيهما أشد بأسًا في الحرب والمكيدة سيغلِب في تلك المعركة، وهذه عقيدة لا تخص الجنود المرابطين فحسب بل تخص المسلمين جميعًا، ينبغي على كل مسلم أن يعلم أن الذنب الذي يقترفه في نفسه أو في بيته أو في محل عمله هو عامل من عوامل تأخير النصر، سُنة الله عز وجل في خلقه ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلا، اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلا.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك.

ربنا أفرغ علينا صبرا، ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم عليك بالرافضة المشركين، اللهم عليك بالرافضة المشركين والنصارى المعتدين واليهود الغاصبين ومن والاهم من العالمين، نعوذ بنور وجهك اللهم أن تجعل لهم ولاية على الإسلام والمسلمين.

اللهم لا ترفع لهم راية، ولا تحقق لهم غاية، واجعلهم لمن خلفهم آية.

اللهم انصر عبادك المجاهدين المرابطين الموحدين على عدوك وعدوهم يا ناصر المؤمنين، يا مجيبًا دعوة المضطرين، قرّ أعيننا بعز الإسلام والمسلمين.

اللهم يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، إن لنا إخوانا يرزحون في سجون الكافرين اللهم ما نحن بهم بأرحم منك يا أرحم الراحمين، اللهم ردهم إلى أهليهم سالمين غانمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك الجنة، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

جمادى الآخرة

١٤٣٩ هـ